وبكِّي يا نفسُ فرصى صالحًا عن ذي القِدَم
وازدري زخرف الحياة فهو جرانه عمم
وانزعي وغلّك القبيح وتبعي له بسدم
وادّكري مصرع الحِمام إذا حُكمه صدم
واد بغيه بتوبة قبل أن يخام راس آدم
وعسى الله أن يفكّ السجن الذي اخترم النسب
يوم كل أعمرنه تعالوا ما ينفع الشرم الندم

ثمّ إنّه أغمد عضب لسانه وأطلق لبنانه بما زلّت به من مورد ردّه ومعرّس تسوّقه ما أبكى وأفتق واستنجع من يسره وطالما عبّر حتى خلت أن الجيش اختطفته أو الأرض انتضعته فما كابدت في الغربة كمد الكربة وما منيت في سفرة بمثلها من زفرة

المقامة الثانية والثلاثون الحربية

حكى الحارث بن همّام قال أجمعتُ حين قضيتُ مناسك الحجّ وأقمتُ وظائف العجّ والثجّ أن أقصد طيبة

مع رفقة من بني شيبة لأزور قبر المصطفى وأخرج من قبيل من حجّ وجفا فأرجف بأن المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين إشفاق يثبّطني وأشواق ينشّطني إلى أن ألقي في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلام فاعتمت القعود واعتدت القتود وسرت والرفقة لا تلوي على عرجة ولا تنثني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا بني حرب وقد آبوا من حرب فأزمعنا أن نقضي كلّ اليوم في حلّة القوم وبينما نحن نتخيّر المناخ ونرود الورد النقاخ إذ رأيناهم يركضون كأنهم إلى نصب يوفضون فرأينا انثيالهم وسألنا ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فأسرعهم لهذا السبب فقلت لرفقتي ألا نشهد مجمع الحي لنتبيّن الرشد من الغي فقالوا لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت وما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤمّ النادي حتى إذا أطللنا عليه واستشرفنا الفقيه المشهود إليه ألفيته أبا زيد ذا الشعر والبجر